محمد شامة

الترجمة عنصر أساسي في النهضة

obeikandl.com

obeikandl.com

الترجمة عنصر أساسي في النهضة

خلق الله الإنسان وفضله على سائر خلقه، فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠]

ولم يكن التفضيل في القوة البدنية أو العضلية ، لأن بعض الحيوانات أفضل وأحسن في هذا الجانب . كذلك لم يكن التفضيل من جانب التركيب المادي أو العصبي ، فكثير من العجماوات تتفوق على الإنسان في أجهزتها العصبية والفسيولوجية ، ولكن التفضيل تركز في تفوقه على جميع الكائنات الحية في العقل والتفكير ، فهو الكائن الحي الوحيد الذي وهبه الله عقلاً قادراً على الملاحظة ، والاستيعاب ، والربط بين ما استوعبه ، والاستنتاج مما جمعه من الظواهر المحيطة به ، وبالتالي فهو قادر على الابتكار والاختراع .

واللغة هي إحدى الوسائل الهامة والأساسية في هذه العملية الفكرية ، فلولاها ما استطاع الإنسان القيام بهذه الوظائف ، ولأصبح أقرب إلى العجماوات منه إلى الكائن الحي ، الذي يتعامل مع الظواهر الكونية بقوة واقتدار ، وكذلك مع الكائنات الحية الأخرى بأسلوب يساعده على تحصين نفسه ، والاستمتاع بما حوله ، سواء كان ذلك ظواهر طبيعية أو كائنات حية .

ومما لاشك فيه أنه كلما كثرت المعرفة ، واتسع نطاق الإنسان بما حوله ، ازداد قوة واقتداراً على تطويع الظروف والملابسات من حوله ، حتى يصل إلى أقصى ما يتمنى ، وغاية ما يريد . وللوصول إلى السير في هذا الطريق لابد من ممارسة ثلاثة أشياء لتطوير سبل الحياة وتحسينها :

الأول : الجهد الذاتي ، فبدون العمل الدائب والمستمر ، لا يحقق الإنسان شيئاً في طريق حياته .

الثاني : الاستفادة مما حققه السلف ، لأن مسيرة التطور لا تسرع بخطوات بناءة إلا إذا كانت قائمة على سلسلة متتابعة من الخبرات والتجارب ، فما يسمونه

بالمعلومات التراكمية عامل مهم جدًّا في الإسراع بخطي واسعة على طريق التقدم والرقي ، إذ أن مثلها مثل البناء ، الذي يضع كل جيل - وكذلك كل فرد - فيه لبنة ، فلكي تسير الأمة في طريقها إلى الأمام ، لابد أن تأخذ ما أنجزه السابقون ، وتبنى عليه ، **ووسيلة ذلك اللغة .**

الثالث : الاتصال بثقافات وتجارب الآخرين ، فهو عامل مهم أثبت فاعليته في دفع حركة التقدم والرقي ، فنظرة سريعة إلى الحضارات الإنسانية ، تبين لنا أن كل حضارة انطوت على نفسها ، وقطعت حبال الاتصال مع الآخرين ذبلت ، وماتت . أما الحضارة التي فتحت أبوابها على مصراعيها ، وتركت نوافذها مشرعة إلى الخارج ، ازدادت فتوتها قوة ، وتفتحت براعمها ، فتطورت ، وأنتجت للبشرية كلها إنتاجاً أضاء لها حياتها ، بما أضافته له من علم ، وثقافة ، ومعرفة بما حولها ، وما يحيط بالكرة الأرضية من ظواهر ، وكائنات سيارة ، **ولن يتحقق هذا أيضاً إلا عن طريق اللغة .**

ولما كانت اللغات متعددة ، والثقافات متنوعة ، وجب على كل شعب – إن أراد اللحاق بركب الحضارة ، وحرص على الإسهام في بناء صرح التقدم – أن يبذل قصارى جهده في نقل علم ، وثقافة الآخرين إلى لغته – عن طريق الترجمة – حتى يضيف إلى تجاربه ما توصل إليه الآخرون ، فيضاعف وقع خطوات سيره إلى الأمام ، حتى يكون في مقدمة الصفوف في ساحة الرقي والرفعة .

فالترجمة عنصر أساسي ومهم جدًّا في بناء الحضارة ، فما أهملتها أمة إلا وتعثرت في سيرها ، بل وتخلفت عن المسيرة . يتضح من هذا أن الترجمة ضرورة لكل أمة ، فهي أداة لازمة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب ، علاوة على أنها عامل من عوامل النهضة في كل عصر وزمان " فما من أمة في القديم والحديث قمت حضارتها أو ثقافتها بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى ، ذلك أن تزاوج الثقافات هو الذي ينمي كل ثقافة ويثريها ، فإذا تقوقعت ثقافة على نفسها كان مثلها كمثل الأسرة تقتصر في التصاهر على الأقرباء فحسب ، فيضعف فيها النسل ، وتدركها الآفات والعلل ، فتُعقَم ويصيبها الشلل والجمود ... إلا أنها – أي

الترجمة – " تُطلَب أولاً لحاجة ، كما حدث للعرب ، ذلك أن الحركة الدينية عندهم كانت قد بلغت في آخر الدولة الأموية شأواً بعيداً ، وجرهم البحث إلى أن يتكلموا في القضاء والقدر ونحوه ، فرجحت عند قوم عقيدة الجبر، وعند آخرين عقيدة الاختيار ، وتجادل المسلمون فيما بينهم ، ثم تجادل المسلمون والنصارى واليهود : أي الأديان خير ؟ وأي آراء الأديان في المسائل الفرعية أصح ؟ وكان المعتزلة يحملون لواء الدفاع عن الإسلام ، وكانت اليهودية والنصرانية قد تسلحت من قبل بالمنطق اليوناني والفلسفة اليونانية تستخدمها في الجدل ......فأحس المسلمون أن لابد من محاربتهم بآلاتهم ، فعكفوا على المنطق والفلسفة يستخدمونهما في أغراضهم .

ثم حدث بعد ذلك أن شعر المسلمون بلذة عقلية من دراسة الفلسفة ، فأصبحت الفلسفة تطلب لذاتها بعد أن كانت تطلب للدفاع عن الدين ، وكذلك ترجم العرب كثيراً في الطب والهندسة وغيرهما من العلوم النافعة .

وهذه المرحلة ، مرحلة الحاجة تأتي قبل مرحلة اللذة والاستمتاع العقلي اللذين نطلق عليهما مرحلة التذوق ، و لم يحس العرب بالتذوق حيال آداب اليونان وأساطيرهم ومسرحياتهم ، فلم يترجموا منها شيئاً ......ونخلص من هذا إلى القول بأن أي أمة تترجم للحاجة والضرورة التي تبعث على الترجمة وتدعو إليها ، فقد تكون حاجة من الدين ، أو حاجة من العلاج ، أو حاجة من التقدم الصناعي ، أو حاجة إلى كشف المجهول . كما تُترجم للمتعة الروحية التي تشيع البهجة في النفس حين تقرأ أثراً من آثار غيرها . ونترجم استكمالاً لمعارفنا التي يجب ألا تقف عند حد ، ولا تنتهي عند غاية ، ونترجم تعزيزاً لمقومات شخصيتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالاً ، ونترجم تقوية لوشائج التفاهم الدولي بين الأمم ، ونترجم لتتفتح أمامنا نوافذ الفكر فنستطيع أن نطل على العالم ، وعلى ما حولنا من نوافذ متعددة ، وبهذا تكون الرؤية أمامنا أوضح ، والضوء أقوى ، والآفاق أرحب ."[٧٤]

إن تبادل الثقافات عامل مهم جدًّا في الإسراع بمسيرة التقدم ، وعنصر حيوي في تراكم الخبرات ، الأمر الذي يؤدي إلى التأثير والتأثر بين الشعوب ، والأخذ والعطاء بين المواهب والتجارب ، فتثْرَي وتَقْوَي مواهب الأمم ، وتتعمق خبراتها في جميع المجالات . وتلعب الترجمة

---

(٧٤) خورشيد : ص ٢٣ – ٢٦.

دوراً هامًا ومؤثراً في هذا المجال ، فشأنها كبير في المؤثرات المتبادلة بين الأمم ، وخاصة بين الشرق والغرب ، فإذا أردنا أن نبدأ السير بخطوات سريعة فيجب علينا أن نترجم نتاج الثقافات الأجنبية ، ولن نستطيع القيام بهذه المهمة خير قيام إلا إذا أتقنا الوسيلة إتقاناً تامًا ، فنُعني بتعلم اللغات الأجنبية ، مع اهتمامنا بإتقان لغتنا العربية المترجم إليها ، لأنه بدون تعلم اللغات الأجنبية يكون الجدار سميكاً بيننا وبين ثقافات الآخرين . فتعلم اللغات الأجنبية هو أولى الخطوات في هذا المجال ، وفي تراثنا ما يؤكد هذا ، فقد أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة السريانية ، حتى يقيم جسور التفاهم بينه وبين المتحدثين بهذه اللغة ، وسار أسلافنا على هذا الدرب فاتصلوا بالثقافات الأخرى ونقلوها إلى العربية ، فكان هذا العمل ظاهرة ثقافية كبرى في تاريخ الإنسانية ، إذ نقل المسلمون التراث الإغريقي ، وهضموه ، وأضافوا إليه ، ثم نقلته عنهم أوروبا ، فكان سلسلة متتابعة أدت إلى ما نتمتع به من رقي وتقدم .

وعلى الرغم من وجود بعض المعارضة لهذا العمل آنذاك من الفقهاء والمتشددين ، مضى العلماء المسلمون في هذا الطريق ، وشجعهم على ذلك الخلفاء والوزراء والأمراء ، إذ ظهرت أول ترجمة ذات طابع علمي في دار الإسلام على يد خالد بن زيد بن معاوية (المتوفى ٨٥ هـ – ٧٠٤م) ، ثم جاء الخليفة مروان بن الحكم فوجه بعض همته إلى النقل ، فترجم له " ماسرجويه " البصري كتاب " أهرون " من السريانية . وسار عبد الملك بن مروان على منوال والده في الاهتمام بالنقول والترجمة ، حتى ليعد هذا الخليفة أبرز خلفاء بني أمية اهتماماً بالتعريب والترجمة .

فلما جاء العصر العباسي " أخذت الترجمة طابع الشمول والغزو – كما عبر بذلك الدكتور عفيفي – فبعد أن كانت في نطاق رغبة الخلفاء لإشباع نهمهم العلمي ، أصبحت سنة من سنن الدولة ، ومنهجاً من مناهج الأفراد والأسر، وذلك عندما كثر اختلاط العرب بأبناء الدول المفتوحة من الخليج إلى المحيط ، فاستشعروا الحاجة إلى علوم ومعارف لم تكن لهم بها صلة ، أو كانت ، ولكنها كانت صلة ضئيلة ، فأرادوا الاستزادة منها ، فقربوا العلماء والأطباء والحكماء ، وأهل الفنون والأدب ، والحساب والفلك ، وأجزلوا لهم العطاء .

فهذا أبو جعفر المنصور (١٣٥ – ١٥٨) ثاني الخلفاء العباسيين ، كان مُولَعاً بالطب والنجوم والفلك والهندسة ، فكاتب ملوك الروم يطلب منهم ما لديهم في هذا الشأن فبعثوا إليه كليات " إقليدس " في الهندسة ، وفي الطبيعيات ، وفي ذلك يقول المسعودي : " كان أبو جعفر المنصور أول خليفة تُرْجِمَت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ، منها كتاب : كليلة ودمنة ، كما تُرْجِمَت له كتب " أرسطوطاليس " من المنطقيات وغيرها ، وتُرْجِم له كتاب : (المجسطى) لـ " بطليموس " ، وكتاب " الأرثماقيطى " ، وكتاب " إقليدس " ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفارسية والسريانية ، وخرجت الكتب إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا إلى عملها ...

وسار الرشيد على منوال أسلافه ، فحينما افتتح عمورية وأنقره انتخب من أبنائها فريقاً من العلماء والتراجمة ، وجعلهم في حاشيته ، وطلب إليهم أن يختاروا عيون الكتب التي وُجدت في مكتبات هاتين البلدتين ، فاختاروا الكتب النادرة التي لا توجد عند غيرهم من الأمم في ميدان الطب والفلسفة والفلك ، ونقلوها إلى بغداد ، وأمر الرشيد آنذاك أبا زكريا بن ماسوية (٢٤٤ هـ) أكبر أطباء عصره أن يرعي هذه المنقولات ، وأن يُعني بترجمتها ، وأن يختار في سبيل إنجاز هذه الترجمة من يعاونه مما أحسنوا اللغات إلى جانب العربية. ......ولما آلت الخلافة إلى المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ) سار سيرة والده ، بل أشرف على الذروة ، حيث وجه همته إلى الترجمة والتأليف ، حيث كان يميل بطبعه إلى كتب الحكمة ، ولاسيما كتب الفلسفة والمنطق ، لأنه كان معتزلي النزعة ، مُؤَيِّداً لسلطان العقل ، وحرية الرأي ، ومن ثَمَّ أكثر من ترجمة هذا اللون ، لأنه رأى فيه خير معوان على دعم العقل ، وتحكيم المنطق ، مما دعا إلى بروز علم الكلام واستوائه فنًّا له مناهجه وقضاياه المعينة . (٧٥)

أسس المأمون بيت الحكمة في بغداد في عام ٢١٧ هـ – ٨٣٢ م – وإن كان هناك من يقول : إنما وُجدت قبله في زمن الرشيد والبرامكة – فكانت سراجاً وهاجاً في أرض الإسلام ، إذ كانت بمثابة مركز علمي متعدد الأقسام حسب اللغات ، ووصل عدد الكتب التي ترجمت فيها إلى اللغة العربية – طبقاً لما ورد في الفهرست لابن النديم – ٤٠٠ (أربعمائة) كتاب ، منها

(٧٥) كارم السيد غنيم : اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة (بحث منشور في عالم الفكر مارس ١٩٨٩) ص ٩٢٨.

(١٤٩) كتاباً في الطب ، فقد تُرْجِمَ من كتب " جالينوس " (٥٣) كتاباً ، ومن كتب " فوريوس " (٤٣) كتاباً ، ومن كتب " أبقراط " (١٠) كتب ، ومن كتب " ديسقوريدس " كتابان .... إلخ .

أقبل المسلمون على تحصيل العلم وترجمته ، يقودهم في ذلك يحي بن ماسوية ، الذي عينه المأمون قيماً علميًا على بيت الحكمة ، وكان يعاونه في ذلك إداريًا وسياسيًا الوزير المشهور سهل بن هارون ، ثم خلف يحي في قيادتها العلمية : حنين بن إسحاق (١٩٤ – ٢٦٠ هـ) وهو ينتمي إلى قبيلة مسيحية ، وكان يترجم من الإغريقية إلى السريانية والعربية في آن واحد . " وهو الذي أوضح معاني كتب " بقراط " و" جالينوس " ، ولخصها أحسن تلخيص ، وكشف ما استغلق منها. وله مؤلفات نافعة بارعة .. وعمد إلى كتب " جالينوس " ، فحذا حذو الإسكندرانيين ، وصنفها على سبيل المسألة والجواب . وله كتاب في المناطق أحسن فيه التقسيم ، وألف في الأغذية كتاباً عجيباً ، وله كتاب " تدبير الناقهين" ، وفي "الأدوية المسهلة والأغذية على تدبير الصحة " ...وألف كثيراً من الكتب غير هذه " .(٧٦)

واشتهر في الترجمة بعد حنين إسحاق أحد أبنائه ، وهو إسحاق بن حنين بن إسحاق ، أبو يعقوب بن أبي زيد ، العَبَّادي النصراني . قال القفطي : إنه في مترلة أبيه في الفضل ، وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية ، كما اشتهر كثيرون غيره منهم : أبو عثمان الدمشقي ، ويحي بن عدى بن مجيد بن زكريا المنطقي، وحُبَيْش بن الحسن الأغشم ، ومتى بن يونس ، وغيرهم .

قدم المسلمون بهذا العمل خدمة جليلة للإنسانية لا ينبغي لأحد أن ينكرها ، أو يتناساها ، إذ لو لم يقدم المسلمون ما أنتجوه لأوروبا ، لتأخرت حضارة الأوربيين قروناً عديدة ، يقول جوتشالك : " قدمت اللغة العربية للعالم خدمة جليلة في مجال المعرفة ، فهو مدين بالشكر للدور الذي قام به العرب في حفظ الثقافة الإغريقية . فقد بدأ اهتمام العرب بما أنتجته الشعوب – سواء كانت خاضعة للدولة الإسلامية أو مجاورة لها – في العصر العباسي ، حيث تُرجمت العلوم والمعارف من اليونانية والفارسية – ومن الهند أيضاً – إلى العربية ، وكان الاهتمام الأكبر

(٧٦) حسن ظاظا : الدولة الإسلامية وترجمة العلوم / هدية مجلة الفيصل مع العدد ٢٣٩ ص ٢٣.

في الترجمة مُنْصبًّا على ما دُوِّن في اللغة اليونانية في مجالات الرياضة والفلك والجغرافيا والطب ، فأوصل ذلك إلى الاهتمام بالفلسفة وعلوم الطبيعة .

لو لم يقم العرب بهذا المجهود الضخم في مجال المعرفة ، لفقدنا كثيراً مما نتمتع به الآن في عالم الثقافة من العلوم والمعارف اليونانية — أو لتأخر على الأقل انتفاعنا به دهوراً طويلة — ، فما لم يصلنا مباشرة من اللغة اليونانية ، أخذناه مما ترجمه العرب إلى اللغة العربية . غير أن الاهتمام بالحضارة اليونانية كان من الدوافع القوية لظهور حضارة عربية إسلامية أصيلة ، اتخذت بغداد مركزاً لها ، تلك المدينة الزاهرة — في وقت كان ظلام العصور الوسطى مخيماً على أوروبا — التي اجتمع فيها التجارة والسياحة مع تبادل الأفكار والفنون والعلوم ، فبدت في منتدياتها معالم الثراء ، وفي قصورها أبهة العظمة والسلطان .

وصلت الحضارة العربية إلى أوروبا عن طريق أسبانيا ، فحملت معها تعبيرات لغوية ، يستعملها السكان الآن دون أن يعرفوا مصدرها ، فالأسبان يستعملون كلمات عربية عديدة في لغة تخاطبهم ، كذلك تذكرنا الكلمات العربية التي تستعمل في اللغة الألمانية بعصر ازدهار الإسلام ، فهناك العديد من الكلمات العربية المستعملة في كل مجالات الحياة اليومية ، وفي مجال علم الطبيعة ، فمثلاً :

كلمة "Alkohol" هي الكلمة العربية : "الكحول"

وكلمة "Sirup" محرفة من كلمة : "شراب"

وكلمة "Damast" مأخوذة من كلمة : "الدمقس"

وكلمة "Magazin" : مأخوذة من كلمة : "مخزن"

وكلمة "Algebra " : مأخوذة من كلمة : "الجبر"

وكلمة "Gitarre" : مأخوذة من كلمة : "قيثارة" وكثير غيرها .(٧٧)

كانت الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية أساساً لنهضة أوروبا ، وعاملاً من عوامل الإسراع في بناء حضارتها ، وذلك أمر لا يختلف عليه اثنان ، إذا نُظر إلى الموضوع نظرة شاملة ، روعي فيها التسلسل التاريخي للحضارات الإنسانية ، فكل حضارة تسلم ما عندها للآخرين

---

(٧٧) Gottschalk, Herbert : S. ١٣١.

لينوا عليها ، وإلا بدأ كلٌّ من "الصفر" وهو مضاد للواقع والمنطق والعقل ، فالواقع يؤكد أن الإسراع في التقدم والرقي يحتاج إلى الاستفادة من خبرات السابقين ، وهو أمر منطقي يدعو إليه العقل ويؤكد صوابه ، ولهذا نرى أن وضعنا الحالي يحتم علينا أن نمد أيدينا إلى معرفة وثقافة من سبقونا ، لنبني عليها حتى نستطيع اللحاق بهم ، بل وسبقهم إن كان عندنا ما يضاف إلى المنقول ، أو كان لدينا من المبادئ والقيم ما يبث روح الانطلاق إلى المنقول ، مع إضافته إلى ما عندنا ومزجه به .

فالصراع في العصر الحديث بين التكنولوجيا في الغرب من جانب ، والانكفاء على الذات في الشرق من جانب آخر ، أظهر لنا أن الترجمة أصبحت أمراً مُلِحًّا لنا لنقل ما عند الآخرين في هذا المجال ، فهو نوع من مقاومة استعباد وتحكم من يملك هذا السلاح .

وما هو سلاح المقاومة ؟

هو " القيام بحركة ترجمة ونشر شاملة ، لا تقل اتساعاً وضخامة عن الحركة التي حصلت في العصر الكلاسيكي ، إن لم تزد ... أقصد الترجمة كاختيار مسئول ، وكبحث علمي ، واندماج حي داخل نسيج الثقافة العربية ، حتى لتصبح وكأنها جزء لا يتجزأ منها . الترجمة الحقيقية هي تلك التي تُعبِّر عن ضـ ـرة تاريخية فَتَتشَرّبها الثقافة العربية كالأرض العطشى . ولكن **من الذي يحدد الضرورة التاريخية ؟ ومن الذي يتحكم بالاختيارات والأولويات ؟**

إنهم مثقفو هذه الأمة ومفكروها الذين ينبغي أن يرتفعوا إلى مستوى التحدي ، ويأخذوا على عاتقهم مهمة إنقاذ الفكر العربي مما يحيط به من أخطار ، وخصوصاً خطرين : خطر الحنين الماضوى ، والاستلقاء في أكناف الآباء والأجداد ، وخطر الاستلاب والضياع فيما هبَّ ودبَّ من نتف الثقافات ، أو أشباه الثقافات المستوردة ، دون وعي أو هضم ، ودون غربلة وانتقاء . الفكر العربي المقبل سوف يُصنَع من خلال أزمة الواقع ومَعَامِيه وحاجياته ، وليس عن طريق الاتكاء السهل على الماضي ، أو الاستيراد الجاهز من الآخرين . وسوف يكون بمثابة المغامرة الكبرى والخطرة في المجهول المنكشف تدريجيًّا . [٧٨]

---

(٧٨) هاشم صالح : الترجمة .. وتشكيل الفكر العربي المعاصر / بحث منشور في "الوحدة" أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩ / ص ٢٥.

ولكن كيف يتأتى لنا طرح الكسل ، ونبذ الاتكال على الغير ، ليتسنى لنا تأسيس حركة ترجمة تنقل لنا ما عند الآخرين ، كما فعل أسلافنا ؟

لا بد أولاً من العناية باللغة العربية عناية تُمَكِّن المثقف من صياغة أفكاره بأسلوب عربي فصيح ، إذ أن " معرفة القواعد الصرفية والنحوية هي اللغة الضرورة ، التي لا غنى عنها لأي مترجم . فبغير المعرفة العميقة لقواعد اللغتين – لغتي الأصل والترجمة – يكون المترجم عرضة للخطأ و التشويه والتزييف . ولقد أشار وديع قسطنطين إلى هذا قائلاً : " ولابد قبل النقل من إجادة اللغة التي يُنْقَل إليها النص . فإذا قعدت اللغة بالناقل ، عز عليه أن يترجم ترجمة صحيحة يُعوَّل عليها ، وجاء كلامه مهلهلاً ، لا يضبط معنى ، ولا يؤدي رسالة محددة الأهداف ". (٧٩)

و ليس بلازم أن يكون مستوى التراكيب اللغوية على درجة عالية ، بل يكفي أن يراعي في الصياغة القواعد اللغوية ، سواء كانت تتعلق باختيار الكلمة المناسبة ، أو بالتزام القواعد النحوية . ولن يصل المرء إلى هذا المستوى إلا إذا تربى في المدرسة على منهج سليم يساعده على تكوين الملكة اللغوية عنده ، فالحديث في الفصل – وخاصة حديث المدرس ينبغي – بل يجب – أن يلتزم فيه المتحدث باللغة العربية السليمة ، حيث يراعي فيه بناء الجملة بناء صحيحاً ، واستخدام المفردات استخداماً سليماً . ولكي يكتمل الأسلوب الذي يؤدي إلى تعويد الطالب على الالتزام باللغة العربية – والانفكاك إلى حد ما عن اللهجات المختلفة – ، يجب أن تكون الفصحى هي السائدة في الحديث داخل أسوار المدرسة ، سواء كان ذلك في الفصل ، أو في فناء المدرسة ومكاتبها .

ولا ننسى ما للمؤسسات الإعلامية – وخاصة المرئية منها والمسموعة – من دور فعال في هذا الصدد ، فتأثيرها قوي وفعال ، فإذا التزمت بالفصحى – كما هو الحال في نظائرها في اللغات الأخرى مثل : الإنجليزية والفرنسية والألمانية ......إلخ – لتغير وجه الحركة الثقافية في المجتمعات العربية ، لأن تطبيق هذا الأسلوب في المدرسة يؤتي ثماره سريعاً ، وتظهر آثاره على ألسنة المتعلمين ، ويمكن أن تفيد هذه الطريقة مَنْ في المدرسة ومَنْ هو خارجها ، لأن اللغة ما هي إلا سماع ومحاكاة ، فلو تحركت الألسن في المدرسة ووسائل الإعلام بالفصحى ، لتعود المرء

(٧٩) أسعد مظفر حكيم ص ١٨٣.

obeikandl.com

على سماعها ، فَيُدْفَع تلقائيًا إلى محاكاة من يسمعه ، وبذلك تدخل التراكيب اللغوية السليمة في أحاديثه العادية .

ومما لا شك فيه أن العالم العربي لو استطاع تطبيق هذا المنهج في مؤسساته العلمية والإعلامية ، لتربي جيل جديد يفضل الحديث بالفصحى على العامية ، وبذلك يتكون عنده الأساس الفكري للانطلاق إلى عالم التعبير عن المعاني المجردة والمتشابكة ، بحيث يكون قادراً على صياغة أفكار غيره بأسلوب علمي سليم ، وتلك هي اللبنة الأولى في مجال الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية .

فلغتنا هي الوسيلة الأساسية لنقل ما لدى الآخرين من أفكار، سواء كان ذلك في عالم الآداب ، أو في مجال العلوم والتكنولوجيا ، ومن ثم وجب العناية بها ، والحرص على تعلمها – وتعليمها – بأسلوب سليم ، وتنشئة شبابنا على حبها ، كي يتمكنوا من الإسهام في بناء الحضارة ، والمشاركة الإيجابية في حركة التقدم العالمي .

ومن فضل الله علينا أن جعل لساننا هو اللغة العربية ، التي لها كل المميزات المساعدة على نقل إنجازات الآخرين ، ففيها :

" الوضوح " ، الذي لا يحتمل اللبس ، فالغرض الأساسي للغة العلم : هو تفسير ظاهرة أو شرح طريقة ، ......ولا يمكن تحقيق ذلك بلغة غير صريحة وواضحة ، أو بكلمات مبهمة غير محددة المعنى .

و " سلامة البنيان اللغوي والإيجاز " ، حتى يمكن أن تعيه الذاكرة في يسر.

و " إمكانية تحديد المصطلحات العلمية وتوحيدها " ، وذلك من الأمور الهامة في مجال العلوم .

و " المرونة والتطور " ، فهي تملك من المرونة ما لا تملكه لغة حية أخرى ، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع فهم كلمة واحدة من اللهجة ، التي كان يتحدث بها أجداده من ألف عام ، بينما العرب المُحْدَثُون يستطيعون فهم لغتهم ، التي كُتبت في الجاهلية قبل الإسلام . ولولا تطور اللغة الدائب ما استطاعت الأجيال الجديدة أن تفهم لغة أجدادهم . والمرونة التي تنطوي عليها لغة الضاد لم تنشأ جزافاً ؛ وإنما هي نتيجة حتمية لطبيعة اللغة العربية ، حيث أن ما تتميز

obeikandi.com

به من موسيقية واضحة ، وقابلية للتزاوج مع اللغات الأجنبية جعل منها لغة حية مرنة متطورة " .(٨٠)

العنصر الثاني في إمكانية إحياء حركة التواصل بيننا وبين الشعوب الأخرى ، هو تعلم لغات هذه الشعوب وإتقانها ، إذ لن يتاح لنا معرفة ما وصل إليه الآخرون إلا عن طريق معرفة لغتهم أولاً ، فالعناية بتدريس اللغات الحية في مدارسنا ومعاهدنا أمر ضروري ، بل هو حتمي ، لا يجوز التهاون فيه ، لأن تواصل الثقافات ، وتبادل المعلومات يقوم أساساً على معرفة اللغات الأجنبية ، فإذا أراد أحد أن يترجم ، فلا بد من إتقانه اللغة التي يترجم منها ، مع افتراض كونه متمكناً من لغته التي ينقل إليها ، بحيث يكون قادراً على فهم مراد المؤلف ، وصياغته في لغته صياغة لا تشوه أفكاره ، أو تُنقِص منها ، إذ ينبغي أن يعرف المترجم لغة الأصل والترجمة معرفة عميقة ، تشمل كافة الجوانب اللغوية : علم الأصوات اللغوية ، وعلم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم متن اللغة ، وعلوم البلاغة .(٨١)

أما العنصر الثالث الذي يلعب دوراً كبيراً في نقل العلوم والمعارف الإنسانية إلى اللغة العربية ، فهو مدى ثقافة المترجم في المجال الذي يُترجِم فيه ، فكلما كانت درجة إلمامه بالمعلومات التي تتعلق بهذا الفن كبيرة ، وثقافته فيه واسعة ، ارتقت درجة إتقانه مفهوم النص إلى اللغة العربية ، ووضحت فكرة المؤلف للقارئ العربي ، بحيث لا يكون هناك أدنى تحريف لها ، أو تشويش على مراميها وأهدافها ، إذ أن " الترجمة الفنية التي يقام لكل لفظ منها وزن ومثقال ، والتي تتناول العلوم والمعارف على اتساع ميادينها ورحابة آفاقها ، فإنها تستعصي إلا على القلة المتخصصة ، المُجَوِّدَة ، البصيرة ، التي يتعين عليها بادئ ذي بدء أن تفهم الموضوع الذي تتصدى لترجمته ، وأن تعرف مصطلحاته وألفاظه العلمية بلغتها الأصلية " .(٨٢)

والعنصر الرابع الذي لابد منه للمترجم : أن يكون لديه ثقافة عامة ، فالمترجم الذي لا يهتم بالثقافة العامة ، و لا يحرص على الاستمرار في تثقيف نفسه بشتى أنواع العلوم والمعارف ،

---

(٨٠) كارم السيد غنيم : المصدر السابق ص ٤٧.

(٨١) أنظر : أسعد مظفر حكيم / المصدر السابق ص ١٨٢ وما بعدها.

(٨٢) المصدر السابق ص ١٨٤.

لا يكون قادراً على الترجمة ، إذ نقل معارف أي أمة من لغتها إلى اللغة العربية ، يتطلب معرفة المترجم لثقافة هذه الأمة وعاداتها وتقاليدها ، وتاريخها السياسي ، وتطورها الاقتصادي ....إلخ ، لأن ذلك يمكنه من نقل نصوص لغة هذه الأمة نقلاً أميناً ، كما أنه في حاجة إلى معرفة طائفة من العلوم والفنون بوجه عام ، كي يحسن الترجمة التي تخصص فيها .

على المترجم الذي يتوخى الثقافة العامة أن يدرس جميع المعارف البشرية دراسة تعميم و توسيع . " إن مجرد معرفة اللغتين — المنقول إليها والمنقول منها — معرفة لغوية ولو واسعة ، لا يفيد الغرض كاملاً ، إلا إذا سبحت معرفة المنقول إليها بعد ذلك في محيط من الثقافة الغزيرة النيرة ، البصيرة الحاذقة ". يقول وديع قسطنطين : " إن المترجم المقتدر هو الذي أهَّل نفسه لتحصيل قدرٍ وافٍ من أبواب المعارف جميعاً ، وناهيك بإتقان اللغات التي هو بها مشتغل ، ومادة التخصص التي تنصب عليها عنايته ، وإذ كان للمرء أن يتحدث عن بعض خبرته ، فلا حرج في أن يذكر الكاتب أنه ألغي نفسه وهو يترجم كتاباً جديداً عن قضية فلسطين ، منشغلاً بموضوعات بعضها تاريخي ، وبعضها ديني ، وبعضها سلالي ، وبعضها قانوني ، وبعضها اقتصادي ، وبعضها متصل بأمور الأمم المتحدة ، وبعضها من صميم الفقه الدولي ، وبعضها جغرافي وإحصائي . و لا تستقيم ترجمة لمثل هذا الكتاب إلا إذا كان ناقله على دراية بأطراف وافية من هذه العلوم جميعاً ."(٨٣)

(٨٣) المصدر السابق ص ١٨٥ – ١٨٦.